أنه أُوتيها وأنه ممّـَنْ يكملُ للحكم ويصحّ ُ منه القضاءُ فجعل يقولُ القولَ لو علم غِيـّـَه لاسْتـَحيا منه . فأما الذين يحسّ ُ بالنقص من نفسه ويعلم أنه قد علمَ علماً قد أوتيه من سواه فأنتَ منه في راحة وهو رجلٌ عاقلٌ قد حماه عقلُه أن يعدوَ طَورَه وأن يتكلـّـَفَ ما ليس بأهل به .

وإِذا كانَتِ العلومُ التي لها أصولٌ معروفة وقوانينُ مضبوطة قد اشترك الناسُ في العِلْم بها واتفقوا على أن البناءَ عليها إذا أخطأ فيه المخطىء ثم أُعجِبَ برأيه لم يُستَطعْ ردّ ُه عن هواه وصرفُه عن الرأي الذي رآه إلاّ بَعْدَ الجهد وإلاّ بعد أن يكونَ حَصيفاً عاقلاً ثبتاً إذا نُبـّـِه انتبه وإِذا قيلَ : إنّ َ عليك بقيةً مِنَ النـّـَظَرِ وقفَ وأصغَى وخشِيَ أن يكونَ قد غُرّ َ فاحتاطَ باستماعِ ما يقالُ له وأنفَ من أن يَلِجّ َ من غيرِ بيـّـِنة ويتطيـّـَلَ بغيرِ حجة . وكان مَنْ هذا وَصفه يعزّ ُ ويقلّ ُ فكيف بأن تردّ َ الناسَ عن رأيهم في هذا الشأن وأصلُك الذي تردّ ُهم إليه وتعوّ ِلُ في مَحاجّ َتهم عليه استشهادُ القرائح وسبرُ النفوسِ وفلْيُها وما يعرِضُ فيها من الأريحية عندما تسمع . وكانَ ذلك الذي يفتَح لك سَمْعَهم ويكشِفُ الغطاءَ عن أعينهم ويَصْرِفُ إليك أوجُهَهُم . وهم لا يضعون أنفسهم موضعَ مَنْ يرى الرأيَ ويفتي ويَقْضي إلاّ وعندَهم أنهم ممن صَفَتْ قريحتُه وصحّ َ ذوقُه وتمّ َتْ أداته .

فإِذا قلتَ لهم : " إنكم قد أُتيتُم مِنْ أنفسكم " رَدّ ُوا عليك مثلَه وقالوا : " لا بل قرائحُنا اصحّ ُ ونظرُنا أصدقُ وحسّ ُنا أذكى . وإنما الآفةُ فيكم لأنكم خَيـّـَلتم إلى نفسِكم أموراً لا حاصلَ لها وأَوهمكم الهوى والميلُ أن تُوجبوا لأحدِ النـّـَظمين المتساويين فضلاً على الآخر من غيرِ أن يكون ذلك الفضلُ معقولاً " . فتبقى في أيديهم حَسيراً لا تملكُ غيرَ التعجّ ُبِ . فليس الكلامُ إذاً بمُغْنٍ عنك ولا القولُ بنافعٍ ولا الحجّ َةُ مسموعة حتى تجد مَنْ فيه عونٌ لك على نفسِه . ومن أَتى عليك أبى ذاك طبعُه فردّ َه إليك وفَتَحَ سَمْعَه لك ورفَعَ الحجابَ بينك وبينَه وأخذَ به إلى حيثُ أنتَ وصرف ناظِرَه إلى الجهة التي إليها أومأتَ . فاستبدلَ بالنـّـِفارِ أنساً واراكَ مِنْ بعد الإِباء قَبولاً . ولم يكنِ الأمرُ على هذه الجملة إلاّ لأنه